

**مجزرة «إسعاف المنصوري» تطوي ذكراها التاسعة عشرة**

## نجلاء أبو جهجه... عين الوطن التي رفضت الاستخفاف بالموت

**حاورتها: عبير حمدان**

ملكـت المقدرة على اختصار التاريخ بدائرة صغيرة. هي العين التي لا تغفو وكانها الشاهدة الوحيدة على هول العدوان. وكيف لمن يوثق الحكاية أن يغيب؟ أن تبصر الحياة من رحم الدماء السائلة على الإسفلت، هذه إرادة البقاء على أبهى تجلياتها. وأن تكتب الخبر بحبر الدمع الخاشع لحظة تصعد روح صغيرة إلى ما فوق الغيم الملبّد بدويّ القنابل هذه بداية نصر... نيسان 1996، كان الحقد يحمل اسم «عناقيد الغضب»، لم تخشه نجلاء أبو جهجه، فكانت الصوت والصورة اللذين أنقذا وطنًا وهزّأ عروشا.

بين نجلاء و«إسعاف المنصوري» حكاية لا يمكن أن يطويها النسيان. فالصدى يرّد صوت انفتاح العدسة لتحضن «حنين»، الطفلة المتكئة على هامش الأمل بوطن خالية سماؤه من هدير الطائرات الحربية. وتبقى وحدها سرّ البداية ودليلنا إلى النهاية كما يجب أن تكون. حينذاك، خشعت المراسلة الحربية أمام لحظة ارتحال الروح إلى مكان من دون دخان وطائرات حربية. وعلى رغم أنّ أرضنا خبزٌ من ألف جنّة، إلا أن «سحر»، الطفلة التي نادت عمّتها عليها تجد ركنًا لجراحها، تشقت هواء الجنوب للمرّة الأخيرة وتغلبت على آئين اللحظة. في تلك المساحة الضيقة من الزمن المجبول بالدماء، تأملتها بصمت، ولعلها حبست حريق المقل أمام قداسة الشهادة، فأرخت آلة التصوير من يدها، لتمنح أرواحهم الغضة السلام، أمام رهبة اللقاء مع ملائكة السماء، تسقط كل الاعتبارات. هذه هي أصول مهنة المتاعب كما يجب أن تكون، وهذا هو الرقيّ الذي ميّز «المراسلة الحديديّة» التي هزّت ضمير العالم بكاميرا.

عشرون سنة تنقّصها واحدة، مرّت على جريمة عصر. «سحر» و«حنين» كبرتا في ذاكرة نجلاء. وإكراهما لهما ولمن سبقهما ومن لحق بهما، كان لا بدّ من لقاء يحثنا على القراءة.. ولن نسئ!



أبو جهجه محدّثة إلى «البناء»

### كي لا تذوب ذاكرتنا في «أسيد» النسيان، كان لا بدّ لي من نشر الكلمات والصور في أروقة العيون، للحفاظ على جينات قضايانا في أجساد تضجّ بالحركة والغضب...

الأمر بالقول، إنهم يريدون تخنيب مشاهديهم رؤية مشاهد فظيعة. أما في أميركا، فقد طلبت وزارة الإعلام الأميركية من جميع وسائل الإعلام الرسمية والخاصة عندها، ألا يُعرض شريط المجزرة لأكثر من خمس مرّات يوميا، وبعد الساعة الثامنة مساء، بحيث يكون الأطفال نياما. وكانت هذه المرة الثانية التي تتدخل فيها وزارة الإعلام في شؤون حرية الوسائل الإعلامية، إذ إنّ المرة الأولى كانت حول مجزرة صبرا وشاتيلا.

وتضيف أبو جهجه: «الوكالات الأجنبية ترى أن صورة الحدث المتحرّكة هي الأقوى تأثيرا على المشاهد. لذلك، هزّت مجزرة إسعاف المنصوري العالم. كوني نلتك، صورة حية ما قبل انطلاق الصاروخ ولحظة إطلاقه وما بعد الإطلاق. وكانت وجوه الضحايا شاهدة على فظاعة الحدث. وأنا هنا لا أنفي فظاعة مجزرة قانا التي حفرت عميقا في وجداننا. إنّما من الناحية المهنية، الصورة المتحرّكة تؤثر بشكل أكبر، قانا خرجت إلى العالم على هيئة أشلاء بعدد مخيف، لكنّ عين الكاميرا لم ترصد المجرم بشكل مباشر».

وتعود إلى المجزرة، لتخبرنا المراسلة الحربية عن تفاصيلها: «في ذلك اليوم، كنت قد أرسلت المادة إلى الوكالة منذ الصباح، وطلوبوا منّي ألا ألتحقم بالتقدّم إلى القرى المستهدفة أكثر، إذ إنّ المادة التي وصلتهم كانتية. لكنني أردت أن أصور سيارة الإسعاف التي تنقل الناس يوميا في مكان مشغوف وممنوع فيه التحرك. فكل ما هو متحرّك، شكّل هدفا للعدو، كانت الساعة الواحدة والدقيقة الأربعين تقريبا عندما سمعت بوق سيارة إسعاف تقترب. صورتها، واعتقدت أنها نزل جرحى. عدلتمتها فاصبحت شاهدها متكئة بالأطفال والنساء. أعطى سائق سيارة الإسعاف إشارة تحذير من يده لسائق سيارة مرسيديس بيضاء أتتبه من صور نحو المنصوري، كي يعود أدراجه نتيجة خطورة الوضع. ثم تحدّث السائقان للحظات، فوافق سائق المرسيديس أن يعود من حيث أتى. كنت خلال ذلك قد أوقفت التصوير، وفتت على عجل بتغيير اتجاه سيراتي، بحيث أصبحت سيارة الإسعاف أمامي. للحظة، فكرت أن أعود أدراجي. لكنني عدت وقرّرت البقاء، رغبةً مني في رصد تلك المروحيات القريبة. نزلت من سيارتي، ورحلت أصور المكان لاقتناص مشهد للحاجز الدوليّ الخالي من عناصره. وبدأت الطائرات المروحية تقترب بسرعة، فرحت أرصدها وقد بدت لي من خلال حركة طيرانها أنها في مرحلة الانقراض على هدف ما قريب. لم أتصور أبدا أن هدفها سيكون قريبا إلى هذا الحدّ. اختبأت قرب حائط، ورحت أصورها. وفجأة، أطلقت صاروخا ليسقط على مسافة عشرين مترا منّي، فانفجر في وسط الشارع، وأحدث كتلة هائلة من اللهب. ونتيجة كثافة الدخان، لم ألحظ أنّ سيارة الإسعاف أصيبت، ورحت أشاهد سيارة المرسيديس وقد خرج من فيها أحياء، فيما اخفت سيارة الإسعاف عن الإنظار. أطلقت المروحيات صاروخا آخر باتجاه المكان لكنّه لم ينفجر، وبينما كنت محتلمة، رحلت أشكر ربّي على سلامة سيارة الإسعاف

### بين عدسة الذاكرة وعدسة التصوير تفوح الذكريات بالألم والحنين إلى الأرض، فيض على الأشواك وانحناءات أشواق لحنين القرية (... ) وفي الببال ألف سؤال ودمعة



## البناء

## محليات

## وقفة تضامنية في باريس استنكاراً

## للإرهاب على بعض الدول العربية



تظلم أبناء الجالية السورية والعربية وقفة تضامنية في العاصمة الفرنسية باريس، للتعبير عن استنكارهم للإرهاب الذي يستهدف بعض الدول العربية كسورية واليمن والعراق ولبنان وليبيا وتونس، والمدعوم من القوى الغربية ونظام آل سعود.

ورفع المشاركون الأعلام السورية واليمنية والعراقية واللبنانية والتونسية، مطالبين بوقف دعم الإرهاب وتزيف دم الشعب العربي، وعدم التدخل في شؤون الدول والشعوب العربية واحترام سيادتها، واستنكار الرجعية العربية والإمبريالية الأميركية الداعمة لها.

وأكد المشاركون أن الهدف من هذه الوقفة، التعبير عن دعمهم الشعب اليمني في وجه العدوان السعودي الذي يتعرّض له. رافعين صور ضحايا من اليمنيين ممن أصابتهم الغارات التي تشنها طائرات نظام آل سعود وحلفائه.

كما استنكروا الجرائم التي ترتكب في اليمن والتي تأتي بالتزامن مع العدوان الإسرائيلي على الشعب السوري، والذي تشارك فيه القوى الغربية وممالك الخليج ومشيخاته، من خلال الاستمرار في تسليح الإرهابيين وتمويلهم وإرسالهم إلى سورية على مدى السنوات الأربع الماضية. وأشار المشاركون إلى أن «عاصفة الحزم» التي يقودها نظام آل سعود وحلفاؤه ضد اليمن وشعبه، كان الأجدر بها أن تكون ضد الاحتلال «الإسرائيلي» بدلاً من توجيهها ضد العرب لقتلهم، ونشر الفكر التكفيري وإشغال الفتن بينهم من خلال شيوخ الجهل وسفك الدم ومال البخرؤ. دولار الذي تنفقه هذه الممالك والمشيخات لخراب الأوطان وقتل الشعوب.

وعبر المشاركون عن تأييدهم الشعوب العربية في اليمن وسورية والعراق ولبنان وليبيا وتونس في حقوقهم بالسيادة في أوطانهم. مؤكداً أنّ الهزيمة ستلحق بالعدوان الغاشم لدول الرجعية والتكفير ومشغليها من دول الإمبريالية العالمية و«إسرائيل»، وأنّ الشعوب العربية ستنتصر في النهاية.

## مخيم طلابي في مشتى الحلو

أقامت منظمة الطلبة الجامعيين - اللادنية في الحزب السوري القومي الاجتماعي، مخيمها الشتوي للطلبة القوميين والمواطنين، على أرض مخيم مشتى الحلو المركزي، بحضور منفذ عام الطلبة ديب بو صنایع وأعضاء هيئة المنفذة.

وتخللت المخيم دروس عقائدية وإدارية وأنشطة عدّة.



## المنخفض الجوي ينحسر... لا ينحسر!



توقّعت مصلحة الأرصاد الجوّية في إدارة الطيران المدني، أن يكون الطقس في لبنان اليوم قليل الغيوم إجمالاً، مع بداية ارتفاع محدود في درجات الحرارة في الداخل وفوق المرتفعات. أمّا غدا الأربعاء، فيكون قليل الغيوم مع ارتفاع إضافي وملحوظ في درجات الحرارة، ويتحوّل تدريجياً بعد الظهر إلى غائم مع سحب متوسطة، مع احتمال تساقط أمطار متفرّقة، تكون غزيرة أحياناً، خصوصاً في المناطق الباخيلية وعلى الجبال.

درجات الحرارة المتوقّعة اليوم على السواحل من 10 إلى 19 درجة، فوق الجبال من 3 إلى 8 درجات، في الداخل من 5 إلى 11 درجة. الرياح السطحية جنوبية - غربية نهاراً، ناشطة أحياناً وسرعتهما بين 15 و35 كيلومتراً في الساعة. الانتشاع متوسط إلى جيّد، الرطوبة النسبية على السواحل بين 65 و85 في المئة. البحر متوسط ارتفاع الموج. وحرارة سطح الماء 19 درجة. أما الضغط الجوي فيبلغ 767 ميليومتراً زئبقاً.

تلوج وأضرار

غلت الثلوج التي تساقطت ليل الأحد - الإثنين في الضنية، مصحوبة بتدنّ في درجات الحرارة. المناطق الجبلية التي يزيد ارتفاعها على 1400 متر فوق سطح البحر، خصوصاً «جبل الأريعين» الذي كانت الثلوج المتركمة فوّه قد بدأت بالذوبان خلال الأيام الماضية.

وفي حين تفاعل المزارعون في المناطق الوسطى والساحلية من الضنية بهذه الثلوج والأمطار التي روت مزرعاتهم، وشكّلت مخزوناً جيّداً للمياه الجوفية والينابيع كي يستعان بها خلال الصيف المقبل، فإن مزارعي التفاح في المناطق الجردية وجدوا أن هذه الثلوج ستؤثّر سلباً على موسم التفاح الذي بدأت براعمه بالظهور.

وكانت الثلوج المتركمة قد أغلقت الطريق المؤدّية إلى سد بريصا وجرد مريين، ومنعت المزارعين من الوصول إلى أراضيهم الذين بدأوا في الأيام الماضية تقفدها تمهيداً للزراعتها.

وفي عكار، هطلت الأمطار بغزارة في مختلف مناطق القضاء، وتساقطت الثلوج على ارتفاع 1400 متر، الأمر الذي تسبّب بانقطاع الطرقات الجبلية على ارتفاع 1600 متر وما فوق، وعملت الجرافات على فتحها، خصوصاً طريق الشنبوق - بيت جعفر وطريق القموعة - الهرمل.

وفي بعلبك، تساقطت الثلوج على مرتفعات السلسلة الشرقية اعتباراً من 1300 متر وما فوق، وبقيت طرقات حام معربون عين البنية الخريبة، سالكة أمام السيارات رباعية الدفع، والمجهّزة بسلال معدنية. ووصلت سماكة الثلوج على المرتفعات إلى عشرة سنتمترات، كما تساقطت الثلوج على السلسلة الغربية، وبقيت جميع الطرقات سالكة، بما فيها طريق عيناتا - بعلبك والبيعونة - بعلبك للسيارات المجهّزة بسلال معدنية ورباعية الدفع.

وفي حاصبيا، أوقعت العاصفة الثلجية وما رافقها من رياح وبرد، أضراراً فادحة في بساتين الفاكهة المنتشرة في مرتفعات شبعاً وكفرشوبا، إذ طاول الضرر النمار التي ما زالت في طور النموّ.

وكانت الثلوج قد غمرت مرتفعات جبل الشيخ وجبل الوسطاني وصولاً حتى بلدة شبعاء، في حين أدّت غزارة الأمطار إلى ارتفاع منسوب نهريّ الوزاني والحاصباني.

في صور، لكنني لم أوفق. ثم اتصلت للمرّة الثالثة بوكالة رويترز التي أشارت لاحقاً في تقريرها إلى أن القوات الدولية لتكات في مساعدة الضحايا. عدت إلى السيارة وفي داخلي حزن وغضب كبيران. ورأيت عباس جحا يتدب أطفاله وزوجته وجيرانه. على مدى عشرين دقيقة كنت أركض بين السيارة وجازر الطوارئ، وكان جحا يحاول وشقيقه إنقاذ من فيه نفس أخير، وانتشال الشهداء، ولم يتمكن من ذلك إلى أن وصلت آلية لقوات الطوارئ، وراح عنصرهما ينتشلون الضحايا بعدما قاموا بخلع الأبواب وتحطيمها. براني، لو أنهم تحركوا بشكل أسرع، لعلمهم تمكنوا من إنقاذ روح، لكنهم لم يكتفوا بجراح الأطفال والنساء وأنثيهم».

تؤكد أبو جهجه أنها في تلك اللحظات خلعت ثوب المراسلة، وكانت المسعفة التي تعيش الفجيعة، والمتعاطفة وفي داخلها، كانت بركانا يوشك على الانفجار. لذلك نسالها عن الاستسهال الاتي مع مشاهد القتل الممتلئ اليوم، من قبل بعض وسائل الإعلام الساعية إلى التسويق وجذب المشاهد، ولو على حساب الضحايا ومشاعر المتلقي فتجيب: «لا أريد أن أقسو على زملاء المهنة، ولكن اللحظة هي التي تتحكم بنا أحياناً. وبحسب المشهد يكون ردّ الفعل، قد يكون استسهال الموت حالة قائمة اليوم، ربما لكرّة تراكم الحثث أو لأن الإعلام صار عالماً مفتوحاً للجميع، حتى أن وسائل التواصل أصبحت وسيلة ترويج وفي متناول الجميع، لكل شخص قناعاته.

### 13 نيسان 1975 وقعت حادثة «أوتوييس» عين الرمانة، ووقع الوطن معها، في حمام دم رهيب استمر لسنوات طوال

من جهتي خشعت أمام رهبة الموت وتعاطيت ضمن حدود مهنتي كمراسلة حربية واجبتها نقل الصورة كما هي، ولكن - في المقابل - شرف المهنة يحتم عليّ احترام الضحايا. لذلك أرضض أن تكون صورتي مادة ترويجية كحدث عاديّ وبديهيّ ومقبول ومتداول، كمن يتابع فيلماً بهدف التسلية. أنا مراسلة أنقل الحقيقة ولست باحثة عن شهرة فارغة على حساب دماء الشهداء ومشاعر أحبّتهم. لذلك أرضض منطّق الاستخفاف بالموت كما نرى اليوم. هذه هي سلبيات التكنولوجيا التي صارت في متناول الجميع. وللأسف، انسحب الأمر على وسائل الإعلام بشكل واضح».

#### ثمن الحقيقة

أما ثمن الحقيقة، فكان الإصاء. وعن ذلك تقول نجلاء: «رويترز حققت الريح المادي والمعنوي من خلال تقرّرها بنقل الحدث إلى العالم. ولكن في المقابل، كان للحقيقة ثمن دفعته أنا. إذ حاولت الوكالة منعي من إجراء لقاءات تلفزيونية للحدث عن تفاصيل المجزرة كما حصلت. لكنني لم أرضخ، وكان ظهوري على شاشة المنار الحد الفاصل، خصوصاً أنني تحدّثت عن المقاومة. وصلت إلى مرحلة كنت أدفع فيها للوكالة ثمن الصور التي التقطها. إلى أن شعرت أنهم يستعملون معي سياسة الإحراج كي أخرج بإرأبئي، ومن دون أن أتال حقوقي المعنوية والمادية. وفعلاً اخترت الخروج».

لاحقاً، تعاونت أبو جهجه مع «أسوشيتد برس»، وواكبت أيام التحريير في أيار 2000. وحين تحقّق الانتصار، بدأت استراحة المحارب كونها لا تجد نفسها إلا في دائرة الإعلام الحربي.